الأم قدوة لبناتها

للأستاذ سلامة موسى

عندما نقول إن الأم هى قدوة لبناتها لا يكون قولنا هذا كل الحق . لأن الحق أنها هى قدوة بناتها وأبنائها معا . ذلك لأن الثابت الآن أن الأم — دون الأب — هى التى تربى بنيها من الجنسين . وان حظ الأب فى هذه التربية ان لم يكن معدوما تماما فهو على الأقل صغير بالمقارنة الى ما سيناله الأبناء من أمهم .

فقد ثبت أن ما ننالة من تربية أصليـة — وهى غير التعليم كما هى أكبر منه وأخطر — انما نحصل عليـه فى السنوات الخمس أو الست الأولى من الطفولة . أى أن العادات والاستجابات تتكون فى هذه السن وهى الأساس الذى يبنى عليه فى المستقبل. ففى هذه السنين تتكون أخلاقنا التى قد تلازمنا الى ممن الشيخوخة . فاذا ساء الحظ وكانت تربيتنا فى هذه السنين الأولى من أعمارنا سيئة فان هذا السوء سوف يلازمنا مدى حياتنا أو هو سوف يحتاج الى أعظم المجهود لازالة أثره .

ولهذا السبب يجب أن نكبر من شأن المرأة وأن نذكر أنها هى المربية الأولى والأصلية لكل من أبنائنا وبناتنا . وطبيعة جنسها تجعلها بالطبع أكبر أثرا فى ابنتها من ابنها . ولكن هذا لا يعنى أنها معدومة الأثر فى الابن أو حتى صغيرة الأثر فيه . بل يعنى أن طبيعة جنسهـا تجعلها ألصق بابنتها كما تجعل هـذه أطوع لها وأكثر اقتداء بها من الابن . ثم هذا الابن قد يجد فى مرافقة أبيه وفى أنهما من جنس واحد ما يجعله يلتفت إليه أكثر ويقتدى به أكثر مما تفعل البنت. ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا وأن نظن أن الأب يؤثر فى الابن أكثر من الأم.

وعامتنا يعرفون أثر الأم فى البنت . ولهم أمثال شـائعة فى ذلك وهى أمثال قد أثمرها الاختبار . إذ قل أن تختلف الفتاة فى أسلوب عيشها من الأم التى ربتها . ذلك أن لكل أم أسلوبا فى العيش لا يبدو فقط فى تقديرها للقيم الاجتماعية والاخلاقية بل يبدو كذلك فى تدبير المنزل ونوع الطهى وترتيب الأثاث والمندام ومعاملة الخدم . وأكثر من ذلك يبدو فى معاملة

الزوج ومجاملة الضيوف . والفتاة تعرف الدنيا لأول ما تعرفها عن طريق أمها . فهى تنظر اليها نظراتها وتتخذ ما يمكن أن نسميه "فلسفتها" منها لأنها تقدر القيمة الاجتماعية والأخلاقية التقدير الذى رأته منها ثم هى تتخذ أسلوبها فى العيش لهجة فى الحديث وإيماءة باليد أو الوجه ولونا فى الهندام ومعاملة للغير . وكثيرا ما نرى المشابهة تقارب المطابقة بين الأم والبنت فنظن أنها ترجع الى قوة الوراثة . ولكن الحقيقة أنها ترجع الى القدوة أكثر من الوراثة .

فإذا شاءت الأم أن تربى ابنتها التربية الحسنة السامية فكل ما عليها أن تجعل من نفسها أمامها القدوة الحسنة السامية . فلا تتهاون فى أتفه الأمور لأن هذا التافه ستنقله عنها ابنتها فى دقة قد تحار منها الأم فى المستقبل وتندم عليها . ولتثق الأم أن ابنتها حين تأكل فى غير لباقة أو أناقة أو حين تتسلى بأكل اللب أو حين تطرح قشر البرتقال على الأرض أو حين تصخب وتزعق مع الخدم أو حين تضحك الضحكة النابية إنما تنقل ابنتها عنها كل ذلك . وأن ما من سيئة تعزى الى البنت الا كانت لاصقة بالأم . وقد يقال هنا إن للمدرسة أثرا لا ينكر فى التربية . وهذا صحيح . ولكن هذا الأثر ضعيف جدا لا يكاد يؤبه به الى جنب الأثر الذى تتركه الأم فى ابنتها لأنها لازمتها السنوات الخمس أو الست الأولى من عمرها .

ولهذا ينبغى للأم أن تنظر فى سلوكها العام فى البيت وأن تتدبر أثر ذلك فى ابنتها . فإذا قعدت الى المائدة معها فلتذكر أن ابنتها — على غير وعى منها — تنقل عنها كل إيماءاتها وحركاتها . بل هى سوف تحب ما تحب أمها من الطعام وسوف تأنف مما تكره أمها . ولا يمكن البنت أن تتعلم النهم فى الطعام والرغبة فى الحلاوى واعتياد أكل اللب الا إذا رأت مثل ذلك فى أمها . ثم هى أيضا سوف تتخذ من اللباس ما تحبه أمها وتؤثره على غيره من الأزياء . ثم هى بعد ذلك ستنظر الى أمها فى معاملة الخدم وستعاملهم بالرفق أو العنف وبالمجاملة أو بالمخاشنة كما ترى من أسلوب المعاملة التى يلقاها هؤلاء الخدم من أمها . وهذه الأم تقرر بهذه المعاملة سعادة ابنتها أو شقاءها فى مستقبل الأيام . إذ من منا لا يعرف سيدات شقين الشقاء العظيم بالخدم لا لأن هؤلاء الخدم قد ساءت طباعهم الى حد يتجاوز المعقول المألوف بل لأن ربة البيت تسئ اليهم فى المعاملة .

ثم هذه الأم بما تقرأ أو بما تتلهى سوف تغرس فى ابنتها أسلوبا من اللهو فى الفراغ . فعليها أن تذكر حل هذا الأسلوب الذى تتبع هى يعد حسنا أم سيئا وهل ترضاه لابنتها أم لا؟ فهى إذا كانت تقعد إلى ضيوفها للقيل والقال أو إذا كانت لا تقرأ غير التافه من المجلات فان ابنتها ستنقل عنها هذا الذوق فى "قتل الوقت" .

ثم هى فى معاملتها لزوجها بالملاطفة والمحاسنة أو بالمخاشنة والمغاضبة إنما تعلم ابنتها كيف تكون الزوجة المستقبلة . وكلنا يعرف أن البيت الهادئ إنما يعود الفضل فيه إلى الزوجة

الهادئة التى تتكلم بصوت منخفض فينصت إليها المستمع ويتعود الأولاد منها هذه العادة . أما الزوجة التى تحيل بيتها ندوة صاخبة من الهرج والمرج فالأغلب أنها وصلت إلى هذه الحال لأنها تعودت الصخب والمشاتمة والعنف مع الأولاد والخدم .

والأولاد الناجحون والبنات الوقورات إنما ينشأن فى العادة فى جو منزلى هادئ تحت رعاية أم وقور ساكنة تجامل الخدم وتعف عن البذاء ولا تنطق إلا بصوت منخفض يحتاج مستمعه إلى الهدوء فيقهر الجميع على التزام هذا الهدوء . وفى هذه الحال ينضج الذهن فيقبل الابن على درسه وتقبل البنت على عملها فى غير ضجة وتزول الخلافات أو تقل . وقد يتاح للبيت هذا الهدوء وقت وجود الأب فيه للخوف والاتقاء . ولكن سرعان ما يعود الهرج والمرج والصخب والزعيق عند ما يخرج لأن الأم لا تضبطه . وعندئذ لا فائدة من هذه الهدنة التى يقضيها الأولاد فى الصمت وقت وجود أبيهم . لأنهم لن يتعودوا الهدوء منها إذ هم يرون فيها نوعا من العقاب . ولكنهم يعتادونه إذا انغرس فيهم عادة من الأم .

الأم قدوة للبنات وللأبناء . فلتكن القدوة الحسنة .

غرر الدرر

— النصح ثقيل فلا تجعله جدلا ، ولا ترسله جبلا .

— الحقيقة ثقيلة ، فاستعيروا لحقائق العلم خفة البيان .

— رب باك كضاحك المزن ، دمع ولا حزن .

— قبح الدين ، نطق فضح ، وسكت ففدح .

— ما تبه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب .

— ضيق الرزق من ضيق الخلق .

شوقى